الإدارة الإسلامية
في عز العرب

تأليف

محمد كرد علي

طبع على نفقة صاحبة العصمة قوت القلوب هانم الدمرداشية

القاهرة
مطبعة مصر ٤٠ شارع فؤاد الأول (سابقاً شارع الزاوية)
١٩٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه محاضرات ثمان فى الادارة الاسلامية على عهد عزّ العرب حاضرت بها فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية تحت إشراف كلية الآداب من فروع الجامعة المصرية — جمهوراً من الطبقة المستنيرة فى القاهرة فى شهر رمضان سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) . وكان ممن حضر هذه المسامرات من أولها إلى آخرها صاحبة العصمة السيدة المهذبة قوت القلوب هانم الدمرداشية من ربات البيوتات المصرية الشريفة وسليلة البيت الكريم بيت أبى عبد الله المحمدى الشهير، فراقها أسلوبها فى البحث . وبالاتفاق مع عميد كلية الآداب العلامة الدكتور منصور فهمى بك رأت طبع هذه المحاضرات على نفقتها لتعم فائدتها العالم الاسلامى . فكان عمل هذه العقيلة النبيلة برهاناً آخر على نهضة المرأة المصرية المسلمة، وحرصها على مساهمة الرجال فى الأخذ بمذاهب الثقافة العربية ، فأضافت مكرمة أخرى الى مكارم أهلها . جزاها الله عن عملها الصالح أفضل الجزاء .

محمد كرد على

القاهرة فى ٢١ شوال سنة ١٣٥٢ و ٦ فبراير سنة ١٩٣٤ م

الادارة الاسلامية

نظر فى الموضوع

كثيراً ما حاول بعض الباحثين فى شؤون الأسلام على عهده الأول أن يصوروا العرب فى غير صورتهم ذهاباً مع أهواء النفوس ، وان يستنتجوا استنتاجات ناقصة فى أحكامهم على الرسول عليه الصلاة والسلام ويغضوا من بعض أصحابه وينحوا انحاء شديداً على للدنية الأسلامية زاعمين أن العرب حتى فى الإسلام لم يعملوا عملاً يذكر فى باب التمدين وأنهم مقلدون فى جميع أعمالهم ما زادوا على ما تعلموه من الروم والفرس من أساليب الحضارة . ولو صح ما قالوا لكانت قوانين فارس والروم صالحة للبقاء وافية بالغرض ، ولما استطاع العرب أن ينزعوا سلطان تينك الأمتين العظيمتين عن أجمل أصقاع الأرض ويحكموها وينظموها على مثال مبتكر لم تكد تشهد البلاد مثله .

وسنثبت فى سلسلة هذه المحاضرات فى الإدارة الإسلامية على عهد التفوق أن الأسلام ابتكر وأبدع فى الحرب والإدارة والسياسة كما اخترع وأبدع فى العلم والتشريع وأسباب المدنية على نحو ما يتجلى فى صفحات التاريخ الأسلامى ، ونأتى بالبراهين التى لا يسع منصفاً عارفاً انكارها . ونكتفى الآن بأن نقول إن من أهم المعجزات المحمدية بعد القرآن هذه الطبقة العالية من الصحابة الكرام الذين خرجوا من تلك البوتقة الطاهرة ذهباً ابريزاً وكانوا من أجمل أدوات الإبداع فأبانوا فى كل مواقفهم عن عقول مثقفة ونفوس شريفة وبعد نظر فى ادارة الشعوب والممالك .

ولقد قضى هذا الضعيف الواقف بينكم زمناً طويلاً يتأمل ما كتب فى تراجم الصحابة وتاريخ أعمالهم وتعليلها وحلها فما رأى، عَلم الله، بعد طول النظر واستعمال العقل النقاد الا ما يعجب منه . واذا كانت هناك بعض هنات قليلة نسبت لبعضهم فإنها ناشئة من خطإ فى الاجتهاد . ومن الميسور أن يجاب عنها لان الصحابة كانوا بشراً أيضاً ، وحب الدنيا قد لا يخلو منه أمثل الناس أخلاقاً . بيد ان التربية التى ورثها الصحابة من الشارع الأعظم قد هيأتهم لممارسة الأعمال العظيمة ، لما أخرجهم بهديه من الظلمات إلى النور ، فكانوا عظاماً فى كل مظاهرهم حتى أدهشوا الأمم بجميل صنعهم، وانشأوا فى نحو مائة سنة مملكة عظيمة لم يسبق لأمة قبلهم أن دانتهم فى مثل ما تم على أيديهم .

أو كان يقوم كل هذا لولا ان الصحابة كانوا على استعداد فطرى تام لتلقى فضائل صاحب هـذا الوحى العظيم فساروا بسيرته وعملوا بشريعته فى كل أرض وطئتها أقدامهم وارتفعت على ربوعها أعلامهم . ان ما نقله العرب عن غيرهم من تراتيب الممالك معروف ومعترف به ، والإنصاف يقضى أن يسجل لهم قسطهم من الأعمال المنبعثة مباشرة من قرآنهم المزينة بأخلاق عالية ما عهد فيما نظن مثلها كثيراً فى الأمم السالفة ولا الخالفة .

وها نحن أولآء نبدأ الليلة فى الكلام على الإدارة فى عهد الرسول وعمدتنا فيما نقتبس كتب الثقات والأمهات المعتبرة، وخطتنا أن نتحامى الأستنتاج بالقياس الواسع إذا كانت الوثائق التى لدينا غير كافية . ومن الصعب على من يتوخى العدل أن يحكم على الشبهة ويجسم الصغير ، و إذا فعل يكون الحق فى واد وهو فى واد آخر . وهذا مما لايليق بباحث غرضه الوصول إلى النور و إيصاله إلى من يهمهم أن يستصبحوا به فى موضوعات يشق على كل انسان خوض عبابها .

ادارة الرســـول

دعا الرسول الى الإسلام لأول مبعثه ثلاث سنين سراً ، ولما اضطهد المشركون من قريش أصحابَه أرادهم على التفرق فى البـلاد ، وأشار اليهم بالهجرة مع نسائهم إلى أرض الحبشة ، علماً منه بأن صاحبها يحسن جوارهم ولا يظلمهم ويُعنتهم ، ثم دعا المسلمين الى المهاجرة الثانية فراراً بدينهم من أذى قريش الذين اشتدوا عليهم ، ومن جملة هذا الأذى انهم كانوا يُلْبسون المستضعفين من المؤمنين برسالة الرسول أدراع الحديد ثم يصهرونهم فى الشمس ، فبلغ منهم الجهـد ماشاء الله أن يبلغ من حرّ الحديد والشمس . وكانوا يلصقون ظهر بعضهم بالرَّضف [1] حتى ذهب لحم متنه . وعن ابن عباس « والله إن كان المشركون ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى مايقدر على أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة وحتى يقولوا له آللات والعُزّى إلهك من دون الله فيقول نعم » . فكان الأمر بالهجرة أولا وثانياً أول تدبير إدارى من الرسول ، أنقـذ به أصحابه من عَنَت المشركين ، ريثما تستحكم قواه فيعود على أعدائه يعرفهم أقدارهم ، ويناقشهم أوزارهم .

وصححوا حديث «لاهجرة بعد الفتح» وقالوا إن الهجرة [2] كانت واجبة فى أول الاسلام على ما دل عليها الحديث ، ثم صارت مندوباً اليها غير مفروضة ، وذلك قوله تعالى: (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مُراغماً [3] كثيراً وسعة) نزلت حين اشتد أذى المشركين على المسلمين عند انتقال رسول الله الى المدينة ، وأُمروا

---

(١) الرضف الحجارة المحماة (٢) الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمى (٣) مهاجراً

بالانتقال الى حضرته ليكونوا معه ، فيتعاونوا ويتظاهروا ان حزبهم أمر ،وليتعلموا من أمر دينهم ويتفقهوا فيه ، وكان أعظم الخوف فى ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة ، وكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها نيفاً وثمانين رجلا وثمان عشرة امرأة. وقال الرسول: أنا برىء من كل مسلم مع مشرك قيل لمَ يارسول الله؟ قال : لاتراءى ناراهما، أى يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك ، ولا ينزل بالموضع الذى أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك اذا أوقدها فى منزله ولكن ينزل مع المسلمين فى دارهم . وانما كره مجاورة المشركين لأنهم لاعهد لهم ولا أمان وحث المسلمين على الهجرة .

ولما ظهر الاسلام على الشرك طفق الرسول يدعو الى دينه جهرة وأخذ يرسل أمثل من دخلوا فى الاسلام من الرجال لتلقين العرب الدين وأخذ الصدقات منهم . واذا وفد عليه وافد يعهد اليه أن يعلم قومه دينهم و« إمام كل قبيلة منها لنفور طباع العرب أن يتقدم على القبيلة أحد من غير أهلها » وإذا كان الوافد من رؤوس قبيله يُوَسِّد اليه جباية الفيء ويأمره أن يبشر الناس بالخير ويعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين ، ويوصيه أن يلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، وأن ينهاهم إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، ليكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، وأن يأخذ خمس الأموال وما كتب على المسلمين فى الصدقة ، وأن من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان دين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يفتن[1] عنها . وبعث معاذاً إلى اليمن[2] فقال له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه عبادة الله تعالى فإذا عرفوا الله

(١) فتن الرجل في دينه مال عنه (٢) تيسير الوصول لابن الديبع

تعالى فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب . وكتب الى عمرو بن حريث عامله على نجران كتابا فى الفرائض والسنن والصدقات والديات . واكتفى الرسول باخذ الجزية من أهل نجران وأيلة وهم نصارى من العرب ، ومن أهل دُومة الجندل وهم نصارى وأكثرهم عرب . (١) وبلغ أُناساً من المشركين ممن لم يكن لهم عهد ولم يوافوا الموسم ، أن رسول الله أمر بقتال المشركين ممن لا عهد لهم فقدموا على الرسول ليجددوا حلفا فلم يصالحهم الرسول إلا على الاسلام واقام الصلاة وايتاءِ الزكاة فأبوا فخلى سبيلهم حتى بلغوا مأمنهم ، وكانوا نصارى من قيس بن ثعلبة فلحقوا باليمامة ، حتى أسلم الناس ، فمنهم من أسلم ومنهم من أقام على نصرانيته .

ولما كان الهدف الأسمى نزعَ الشرك من نفوس العرب أولا ، رأينا الشارع إلى الرفق بأهل الكتاب لا يباديهم الشر إلا إذا قاوموه . وقد أحسن معاملة نصارى نجران ، وفدوا عليه ستين راكباً فيهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم ، والذى يصدرون عن رأيه وأمره ، وفيه نِمالهم وصاحب رَحْلهم ومعهم أُسْقُفُّهم وحبرهم و إمامهم وصاحب مِدْراسهم (٢) فعاهدوه على أداء الجزية . وقال الرسول : من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة . وقال : من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يَرَحْ رائحة الجنة . وقال: من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشمَّها . وجعل دية المعاهد كدية المسلم (٣) الف دينار، وعن مالك بن الوليد قال : أوصانى الرسول

---

(١) أقضية رسول الله للقرطبى (٢) العاقب الذى يخلف السيد وهو ثانيه فى الرتبة ومنه جاء السيد والعاقب والثمال الغياث الذى يقوم بأمر قومه والمدراس البيت الذى يدرسون فيه (٣) كتاب الديات للضحاك الشيبانى

أن لا أخطو إلى إمارة خطوة ، ولا أصيب من معاهد إبرة فما فوقها ، ولا أبغى على إمام بالسوء .

ولم يحارب الرسول اليهود فى خيبر وغيرها إلا لأنهم خانوا عهده وأرادوا قتله وكشفوا ستر سيدة من الأنصار . ويهود بنى النضير[١] و بنى وائل هم الذين حزّبوا الأحزاب عليه ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم إلى حربه ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقطع نخل بنى النضير ثم صالحهم وحرّق على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أوطانهم، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء على أن لهم ما أقلّت الإبل إلا الحلقة[٢] ، وطاوله يهود خيبر وما كسوه[٣] ثم صالحوه على حقن دمائهم وترك الذرية ، على أن يُجلوا ويخلوا بين المسلمين وبين الأرض والصفراء والبيضاء والبزّة إلا ما كان منها على الأجساد ، وأن لا يكتموه شيئاً ، ثم قالوا للرسول إن لنا بالعمارة والقيام على النخل علماً فأقرنا فأقرهم . وفى بنى النضير نزلت سورة الحشر . وأبيد بنو قريظة لنقضهم العهد ومظاهرتهم المشركين على الرسول . فأمر بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستفاءة[٤] أموالهم .

ووضع الرسول على المسلمين وغيرهم وعلى الأرضين والثمار والماشية أموالاً بيّن الكتاب العزيز أصنافها فى عِدة أيات و بيّن حكم انفاقها فقال : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دُولة[٥] بين الاغنياء منكم) (واعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (يسألونك عن

---

(١) سيرة ابن هشام (٢) الدرع وقيل السلاح كله (٣) ما كسوه شاكسوه والماكسة المشاحنة وطلب الحط من الثمن (٤) استفاء المال أخذه فيئاً والفيء الغنيمة (٥) الدولة فى المال أن يتداوله الأغنياء فيكون مرة لهذا ومرة لذاك

الأنفال قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

فالفيء خراج يؤخذ من أرض العنوة [١] والخراج ما يؤخذ من أرض الصلح [٢] وما فتح عنوة وأكثر أهله عليه ، والجزية مال يتقاضى من أهل الكتاب ، والعشر ما يؤخذ من زكاة الأرض التى أسلم أهلها عليها كأرض العرب وما أسلم عليه أهله أو فتح عنوة وقسم بين الغزاة . وما كانت الجزية تقبل من غير الكتابيين فى الأرض العربية ، [٣] ولا يقبل من المشركين عبدة الأصنام إلا الاسلام . ومن الأرض ما صولح أهله على النصف من ثمارهم كأهل فدك ، وجعل النبى فدك له خاصة ، لأنه لم يوجف [٤] عليها المسلمون بخيل ولا ركاب . والأنفال الغنائم فى القتال ، والصدقة أنواع هى الزكاة وهى عشر الغلات التى تأتى من الأرض التى خلت من سكانها أو كانت مواتاً فأحيوها ، وصدقات الماشية هى زكاة السوائم من الابل والبقر والغنم دون العوامل والمعلوفة والصدقات عروض التجارة . قال ابن حبيب: [٥] أول ما بعث الله نبيه بالدعوة بعثه بغير قتال ولا جزية ، فأقام على ذلك عشر سنين بمكة بعد نبوته يؤمر بالكف عنهم ثم أنزل الله عليه : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) الآية ، وأمره بقتال من قاتله والكف عمن لم يقاتله وقال الله عز وجل : (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) ثم نزلت براءة لثمان سنين من الهجرة فأمره بقتال جميع من لم يسلم من العرب من قاتله أو

---

(١) العنوة القهر وفتح البلد عنوة أى قسراً (٢) مفاتيح العلوم للخوارزمى (٣) الخراج لابى يوسف (٤) أوجف الفرس أعداه والمراد تجهيز جيش لفتح البلد (٥) تيسير الوصول لابن الديبع

كف عنه إلا من عاهده ولم ينتقض من عهده شيئا فقال : (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم أن الله غفور رحيم) . وكل ذلك كان يؤخذ ممن اهتدوا إلى الدين الجديد ومن بقوا على دينهم من اليهود والنصارى بعدل لا شطط فيه يدفعه المسلمون والمعاهدون طيبة نفوسهم ولم يتبرم به أحد . (١)

شكا يهود خيبر (٢) — « وكانت قرية الحجاز ريفا ومنعة ورجالا » وكان فيها عشرون ألف مقاتل (٣) — عبد الله بن رَوَاحة . وكان الرسول يبعثه كل عام يخرُص (٤) عليهم تمرهم ثم يقول : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلى ، فكانوا يضمنونه فشكوا إلى الرسول شدة خرصه (٥) وأرادوا أن يرشوه جللوا له حلياً من حليّ نسائهم فقالوا : هذا لك وخفف عنا وتجاوز فى القَسم . فقال عبد الله : يا معشر اليهود إنكم لمن أبغض خلق الله تعالى الىّ وما ذاك بحاملى على ان أحيف عليكم وأما ما عرضتم علىّ من الرّشوة فانها السحت وإنا لا نأكلها . فقالوا : بهذا قامت السموات (٦) والأرض .

ولقد كان الرسول يتخير عماله من صالحى أهله وأولى دينه وأولى علمه ، ويختارهم على الأغلب من المنظور اليهم فى العرب ليوقروا فى الصدور ، ويكون لهم سلطان على المؤمنين وغيرهم ، يحسنون العمل فيما يتولون ويُشْربون قلوب من ينزلون عليهم الإيمان ، ويكشف أبداً عملهم أى يفتشهم ، ويسمع ما ينقل اليه من أخبارهم . وقد عزل العلاء بن الحضرمى عامله على البحرين لأن وفد عبد القيس شكاه وولى أبان بن سعيد وقال له : استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم (٧)

---

(١) العشر والخراج فى الخلافة العربية لمصطفى الشهابى (مجلة المجمع العلمى العربى م ١٢)
(٢) المعارف لابن قتيبة (٣) الخراج لأبى يوسف (٤) يقدر (٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦) تيسير الوصول لابن الديبع (٧) طبقات ابن سعد

وكان يستوفى الحساب على العمال[١] يحاسبهم على المستخرج والمصروف ، وقد استعمل مرة رجلاً على الصدقات فلما رجع حاسبه فقال : هذا لكم وهذا اهدى إلىَّ . فقال النبى : ما بالُ الرجل نستعمله على العمل بما ولاّنا الله فيقول : هذا لكم وهذا اهدى إلىَّ ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر أيُهدى اليه أم لا . وقال : من استعملناه على عمل ورزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو علول[٢] .

وما انفك الرسول من استشارة أهل الرأى والبصيرة ومن شُهد لهم بالعقل والفضل ، وأبانوا عن قوة إيمان ، وتفان فى بث دعوة الاسلام . وهم سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار ، منهم حمزة وجعفر وابو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وسليمان وعمار وحذيفة وابو ذر والمقداد و بلال . وسموا النقباء لأنهم ضمنوا للرسول إسلام قومهم ، والنقيب الضمين . وكان له عرفاء أى رؤساء جند . ويكتب له بعض جلة الصحابة من الكَمَلة ،[٣] والكملة فى الجاهلية وأول الاسلام هم الذين كانوا يكتبون بالعربية و يحسنون العوم والرمى .

كان كاتب العهود إذا عاهد والصلح إذا صالح علىّ بن أبى طالب . وممن كتب له أبو بكر وعمر وعثمان والزبير ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص وحنظلة الأسَيْدى والعلاء بن الحضرمى وخالد بن الوليد وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبدالله بن أبى سلول والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتب فيما بينه و بين العرب وجُهَيْم بن الصلت وشرَحبيل بن حَسَنة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، و بلغ كتاب الرسول اثنين وأربعين رجلاً وكان صاحب سره حذيفة بن اليمان . وكان الحارث بن عوف المرى على خاتمه ، وخاتمه من حديد ملون عليه فضة نقش ثلاثة أسطر محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر . ويضع خاتمه أيضاً

---

(١) الحسبة فى الاسلام لابن تيمية (٢) خيانة (٣) طبقات ابن سعد

عند حنظلة بن الربيع بن صيفى بن أخى أكثم ، ويكون خليفة كل كاتب من كتاب النبى غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان مُعَيْقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم الرسول ، وكذلك كعب بن عمرو بن زيد الانصارى كان يقال له صاحب المغانم ، وحذيفة بن اليمان يكتب خرص تمر الحجاز ، والعلاء بن عتبة وعبدالله بن الأرقم يكتبان بين الناس فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء . وكان عبد الله بن الأرقم يجيب الملوك عن الرسول ، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات ، والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات ، وشرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك . ومن شعرائه حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك انتدبهم لهجو المشركين ، وخطيبه ثابت بن قيس . وكان زيد بن ثابت ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية واليهودية . وناجية الطقاوى ونافع بن ظريب النوفلى يكتبان المصاحف وشفاء أم سليمان بن أبى حتمة تعلم النساء الكتابة وعبادة بن الصامت يعلم أهل الصفة القرآن ، وكانت دار مخرمة بن نوفل بالمدينة تدعى دار القرآن . وأول قاضٍ فى المدينة عبد الله بن نوفل ومقرىء للمدينة مصعب بن الزبير وأول لواء عقد فى الإسلام لواء عبد الله بن جحش ، وعقد لسعد بن مالك الأزدى راية على قومه سوداء وفيها هلال أبيض وكان لواؤه أبيض أو أصفر أو أغبر وله راية تدعى العقاب من صوف أسود مكتوب على رايته : لا اله إلا الله محمد رسول الله . وأول مغنم قسم فى الإسلام مغنم عبد الله بن جحش . ومن عماله أبو دُجانة الساعدى وسباع بن عُرْفطة عاملاه على المدينة ، وكان ثلاثة أرباع عماله من بنى أمية لأنه إنما طلب للأعمال [1] أهل الجزاء من المسلمين والغناء ، ولم يطلب أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها كما قال معاوية . واستعمل الرسول أبا سفيان بن

(١) تاريخ الطبرى

حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد الله أميراً على القضاء والمظالم .

وكان الرسول كثيراً مايقول أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبىّ بن كعب ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح . وقال : خذوا القرآن من أربعة ؛ من عبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة وجمع القرآن أى حفظه جميعه من الأنصار أُبيٌّ ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو قيس بن السكن ، هؤلاء أهم رجال الادارة والقضاء والفقه والقرآن . وهناك طبقة أخرى تتولى الأعمال مثل عَتّاب ابن أسِيد الذى استعمله والياً على مكة ، ورزقه كل يوم درهما فقام يخطب ويقول : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقنى رسول الله درهما كل يوم ، فليست بى حاجة الى أحد . وهذا الراتب من أول ما وضع من الرواتب للعمال . وقد يكون رزقهم ما يطعمون منه على نحو ما أجرى على قيس بن مالك الأرحبى من همذان لما استعمله على قومه عربهم وحمورهم[1] ومواليهم فأقطعه من ذرة نِسار مائتى صاع ومن زبيب خَيْوان[2] مائتى صاع جارٍ له ذلك ولعقبة من بعده أبداً أبداً أبداً . أما كبار الصحابة فكانوا يعطون ما يتبلغون به من الغنائم وغيرها ، ومنهم من كان غنياً فى الجاهلية والاسلام فجهز من ماله جنداً فى سبيل الله ، بل منهم من أنفق كل ماله فى هذا الغرض وهو راض مغتبط .

ولقد آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار بأخوة الاسلام والايمان ولطالما أقطع القطائع[3] ، وكان يتألف على الاسلام ، ويعطى من الصدقات من يريد

---

(١) لعل صوابه حرها جمع احر اى الأعاجم (٢) مخلاف فى اليمن والنسار جبل فى حمى ضرية
(٣) القطيعة من الأرض طائفة من أرض الخراج

تأليف قلوبهم ، فدعى من يأخذون ذلك « المؤلفة قلوبهم » وهم أحد وثلاثون رجلا من سادة العرب ، تألفهم وتألف بهم قومهم، ليرغبوهم فى الاسلام ، ولئلا[١] تحملهم الحمية مع ضعف نياتهم على أن يكونوا إلباً مع الكفار على المسلمين ، وما منهم الا الشريف المسوددً والعالم والخطيب والشاعر والداهية الباقعة ، وكل منهم سيد فى قومه مطاع فيهم ، قال صفوان بن امية : لقد أعطانى رسول الله يوم حنين وإنه لمن أبغض الناس إلىّ ، فما زال يعطينى حتى إنه لمن أحب الناس إلىّ . وقال الرسول : إنى لأعطى قوماً أتألف ظلعهم[٢] وجزعهم وأكل قوماً إلى ماجعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى . وكان يعامل المسلمين بقواعد المساواة التامة ، ويفضل مثلا من الأزد الأنصار وهم الأوس والخزرج أبناء حارثة بن عمرو بن عامر وهم أعز الناس نفساً وأشرفهم ، وهم لم يؤدوا أتاوة قط إلى أحد من الملوك

كانت الحكمة فى تأليف من قضت المصلحة بتأليفهم ، وأعطى كل واحد من المؤلفة قلوبهم فى احدى غزواته مئة من الإبل ومقداراً من الفضة ، فلما دخل الناس فى الدين أفواجاً ، وظهر المسلمون على جميع أهل الملل بطل العطاء للمؤلفة قلوبهم ، ودخل بعضهم فى خدمة الدولة وتولوا العمالات وقيادة الجيوش ، ولم يبق عربى بعد واقعة حنين والطائف[٣] الا أسلم ، ومنهم من قدِم على الرسول ومنهم من لم يَقْدَم، وقنع بما أتاه به وأفد قومه من الدين . ولما فتحت مكة دانت العرب لقريش وعرفوا أن لا طاقة لهم بحرب الرسول ولا عداوته ، فدخلوا فى دينه وقلّ أن دخل فيه إلا من اعتقد صدق صاحبه ، وقد جاء قيس بن نُشبة السُّلَمى فأسلم ورجع إلى قومه فقال : يابنى سليم ، قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأسفار الرهاب والكهان ومقاول[٤] حمير ، وما كان كلام محمد يشبه شيئاً من كلامهم . وقال ابو سفيان

---

(١) تاج العروس الزبيدى (٢) الظلع العيب (٣) أسد الغابة لابن الأثير (٤) مقاول ج مقول وهو القيل ابن الملك الصغير بلغة اليمن

ابن حرب : مارأيت أحداً يحب أحداً من الناس كحب أصحاب محمد محمداً [١] .

وكثرت الوفود فى السنة التاسعة للهجرة حتى سمى عام الوفود ، وبعث رسله الى ملوك الأرض يدعوهم الى الاسلام، وفى سنة سبع بعث دحية الكلبى بكتاب الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل ليدفعه الى قيصر ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى الى كسرى ، وعمرو بن أمية الى النجاشى وحاطب بن أبى بلتعة الى المقوقس ملك الاسكندرية والعلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى ملك البحرين وشجاع بن وهب الأسدى الى الحرث بن أبى شمر الغسانى ، والمهاجر بن أبى أمية الى الحرث ملك اليمن . وجاءت وفود العرب من كل وجه ، وكان الرسول يكرمهم ويفضل عليهم بعطائه ، ومنهم من يضيفه عشرة أيام كوفد عبد القيس ، ومنهم من يبالغ فى إكرامه كملوك اليمن ، وإنما سموا ملوكاً [٢] لانه كان لكل واحد منهم واد يملكه بما فيه . وكانت كتبه الى ملوك الأطراف خارج الجزيرة بلغة مضر وفصيح ألفاظها وكلها موجزة ، واستعمل ألفاظا فى بعض كتبه الى أهل اليمن وغيرهم غير معروفة للعرب كافة إلا فى قبيل واحد ، وذلك إرادة إفهام القوم ومخاطبتهم بمألوفهم من العبارات [٣] . قال علىٌ للرسول وقد سمعه يخاطب وفد بنى نهد : يارسول الله نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره . فقال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، وربيت فى بنى سعد . فكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم بما يفهمون .

ولم يكن للرسول بيت مال ، وكان يخبأ الأموال فى بيته وبيوت أصحابه ، وفى الغالب أن الفىء يقسم من يومه ، خصوصا إذا كان من الناطق كالابل والشياه والخيل والبغال . والرسول يعطى الآهل [٤] من الفىء حظين والعزب حظاً [٥] .

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٢) طبقات ابن سعد (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه — كتاب الجمانة فى الوفود (٤) الآهل المزوج (٥) تيسير الوصول لابن الديبع

وما كانت تأخذه بالمشركين هوادة لاسيما بعد أن فتحت مكة ، وأطاعت الحجاز واليمن واليمامة وغيرها من أصقاع الجزيرة ، وما كان هوى من رسخ الاسلام فى قلوبهم فى شىء من حطام الدنيا ، فقد بلغ من تبادل الثقة [١] والحب بين المسلمين فى صدر الاسلام أنهم كانوا خلطاء بالمال ، يأخذ فقيرهم من مال الآخر مصداقا لقوله تعالى: (و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . ولقد أهديت لعبادة ابن الصامت [٢] هدية و إن معه فى الدار اثنى عشر من أهل بيته فقال عبادة : اذهبوا بهذه الى آل فلان فهو أحوج اليها منا . قال الوليد بن عبادة فأخذتها فكنت كلما جئت أهل بيت يقولون اذهبوا بها الى آل فلان فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية الى عبادة قبل الصبح . وأسلف عبد الله بن جعفر الزبير ابن العوام الف الف درهم فلما قتل الزبير قال ابنه عبد الله لعبد الله بن جعفر إنى وجدت فى كتب أبى أن له عليك الف الف درهم فقال : هو صادق فاقبضها إذا شئت ثم لقيه فقال : يا أبا جعفر وَهمتُ المال لك عليه فهو له قال : لا أريد ذاك . قال : فاختر ان شئت فهو له و إن كرهت ذلك فله فيه نظيره ما شئت ، و إن لم ترد ذلك فبعنى من ماله ماشئت .

مثال آخر من هذا الإيثار . كان بالمدينة فى زمن النبى شاب يقال له مالك بن ثعلبة الأنصارى ولم يكن بالمدينة شاب أغنى منه ، فمرّ بالنبى والنبى يتلو هذه الآية (والذين يكنزون الى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون) فغشى على الشاب فلما أفاق دخل على النبى فقال : بأبى أنت وأمى هذه الآية لمن كنز الذهب والفضة . فقال له النبى : نعم يامالك . قال : والذى بعثك بالحق ليمسين مالك ولايملك دينارا ولا درهماً . قال : فتصدق بماله كله . وما كان أصحاب رسول الله بالمنخرقين [٣]

---

(١) الاحياء للغزالى (٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣) المنخرق السريع

ولا المتماوتين [١] يتناشدون الأشعار ، ويجلسون فى مجالسهم ، ويذكرون جاهليتهم فإن أريد إنسان منهم على شىء من أمر دينه دارت عيناه فترى حماليقها [٢] غضباً . بل كان منهم من إذا ارتكب كبيرة يعاقب عليها الاسلام يأتى الرسول يطلب إقامة الحد الشرعى عليه ، أو يسمع منه ماينقلب به الى أهله مسروراً ، يأخذ حكمة تثلج بها نفسه ، ويعتقد أنه تحلل من ذنبه واستغفر له الرسول .

وأراد النبى مرة إحصاء المسلمين فقال : اكتبوا لى من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبوا له ألفاً وخمسمائة رجل . وما كان يجمع المسلمين فى أول أمرهم كتاب حافظ أى ديوان مكتوب [٣] . وكان إذا نودى للزحف وتخلف عنه أحدهم لعذر أو شبه عذر ، يلومه الرسول وأصحابه ، وإذا تبين أنه تعمد أن يكون مع المتخلفين عن القتال يعاتَبُ ، ويقاطعه الجماعة ويجتنبونه لا يكلمه أحد . ولما أمر الرسول بالتهيوء لغزو الروم فى اليرموك ، تثاقل المسلمون عنها وأعظموا غزوهم ، فنافق من نافق من المنافقين ، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، وكان « ذلك فى زمن عسرة [٤] من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم فيه » وجاء المتخلفون عن هـذه الغزاة وكانوا ثمانين رجلاً فقبل الرسول منهم علانيتهم وأيمانهم ، واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله . وفى هـذه الغزوة حضَّ الرسول أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وكان من أفضل القربات أن يجهز أرباب اليسار أناسا للغزو يتكفلون بطعامهم وإطعام ذويهم ، ويُعطونهم السلاح والكراع واللباس ليَغزُوا

---

(١) تماوت أظهر من نفسه التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم (٢) الحلاق باطن الاجفان المحمر اذا قلبت للكحل بدت حمرتها وقيل الحلاق ماتحلى الجفن من بياض المقلة (٣) سيرة ابن هشام (٤) سيرة ابن هشام

و يرابطوا[١] . وكان المسلمون كلهم جنداً يقاتلون للدين وكان لا يزال فيهم أبداً من يبذل شطراً صالحاً من ماله فى وجوه البر والقرب لا يريدون على إسلامهم ونصرهم للرسول جزاء . وجميع ما غزا الرسول بنفسه سبع وعشرون غزوة وكانت بعوثه وسراياه ثمانياً وثلاثين بين بعث وسرية ، وكان يورّى بغزواته ، وقلّ أن يعين لأصحابه الوجهة التى يقصدها فى غزاته ، وكتب مرة لأحدهم كتاباً وأمره أن لايقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا . ولا يستكره من أصحابه أحداً أى يندبهم للعمل قسراً ، وذلك ليترصد بذلك قريشاً و يعلم له من أخبارهم .

ولم يكن للمسلمين سلاح جاهز . وسلاحهم القوس والنبل والحربة والسيف والدرع ثم اتخذ انواع السلاح التى كانت موجودة إذ ذاك عند الأمم . واستعار الرسول يوم هوَازن [٢] مئة درع بما يكفيها من السلاح من صفوان بن أمية ليلقى بها العدو على أن تكون عارية مضمونة حتى يؤَديها اليه . ورأى الرسول أن اتساع الفتوح يقضى بأن يتعلم بعض أصحابه صنعة الدبابات والمجانيق والضبور[٣] أى صنائع القتال فأرسل إلى جُرَش اليمن اثنين من أصحابه يتعلمانها . وكان أهل الطائف أول من رُمى بالمنجنيق . وأخذ المسلمون بُعَيْدَ ذلك يعدون لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ، لأنهم قادمون على فتح الشام والعراق على ما بشرهم به الرسول فقال لعدى بن حاتم : لعلك يا عديّ إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذ ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عددهم وقلة عُددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت

---

(١) المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغره وكل مستعد للقاء صاحبه فكانوا يرابطون أى يقيمون على جهاد عدوهم بالحرب ومرابطات المسلمين مواضع خيلهم المرابطة والمرابطة هم الجماعة رابطوا (٢) سيرة ابن هشام (٣) الضبور جلود تغشى خشباً فيها رجال وقالوا هى الدبابات تقرب للحصون لتتقب من تحتها الواحدة ضبرة .